١٩

محمد صلى الله عليه وسلم

الإسلام
الدعوة الكبرى

حسين محمد يوسف

دار الاعتصام

اهداءات ٢٠٠٢

أ/ رشاد كامل الكيلانى

القاهرة

الإسلام

الدعوة الكبرى

شباب محمد صلى الله عليه وسلم
رسائل الدعوة

الإسلام
الدعوة الكبرى

حسين محمد يوسف

دار الاعتصام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين *))
((يهـدى به الله من اتبع رضوانه سبل))
((السـلام ، ويخرجهم من الظلمـات))
((الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط))
((مستقيم)) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أكرم المؤمنين ببعثة أشرف الأنام ، ليكون لهم فى الدنيا هدى ونورا ، وفى الآخرة رحمة وشفاعة ، وليكون منهم باتباعه خير أمة أخرجت للناس . **(وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا)** (١) .

وأشهد أن لا اله الا الله ، طهر النفوس بتعاليمه السامية ، وأعجز العالمين بتشريعاته المحكمة ، فقدم لكل داء دواء ناجعا ، ولكل مشكلة حلا قاطعا ، ولكل جريمة حكما رادعا . **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين * يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم)** (٢)

وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم ، هو المبعوث

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) سورة المائدة : ١٥ ، ١٦ .

بأكرم هـــداية ، وأصـــدق عقيدة ، وأكمل دين ، به ختمت الرسالات ، واليه انتهت عظمة الأديان ، فلا هداية بعـــد هدايته ، ولا ديانة بعد ديانته ، ولا كتاب بعـــد كتابه ، **(ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** (١) .

اللهم صـــل وسلم وبارك عليـــه وعلى آله وصحبه أجمعين ، واجعلنا من جنوده الصادقين ، وأكرمنا بشفاعته ، **(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)** .

شموس الهـداية :

اقتضت حكمـــة المولى عز وجـــل ، فى تدبيره لملكه ، وتوجيهه لخلقـــه ، أن يفيض تاريخ الانسانية ، بين الفينة والفينة ، بسير عاطرة ، ومثل عليا ، وأن تسطع فى آفاقه شموس منيرة ، يهتدى بها الحائرون فى الظلمات ، وينجو بها الغافلون عن طريق المهلكات ، فتعود الانسانيـــة سيرتهـــا الأولى ، وتسطر صفحات جديدة من الخير والبر ، على ضوء تلكم الشموس المنيرة ، التى رسمت لها طريق الحق والهداية ، وحادت بها عن سبيل الشر والغواية .

وفى المرتبـــة العليا من هـــذه الشموس الساطعة ،

---

(١) سورة يوسف : ٤٠ .

نجـــد أنبياء الله ورسله ، الذين اصطفاهم الله من أكرم خلقه ، وأعدهم لتبليغ رسالته ، واقامة حجته ، وانقـــاذ عبـــاده .

وفى المقـــام الأسمى من هـــذه الأرواح القدسية ، والنفوس الزكية ، نجد سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، محمد بن عبد الله صلى الله عليـــه وسلم ، فقد بعثه الله على فترة من الرسل ، وفى غمرة من الضلالة ، فى وقت انقلبت فيه الأوضاع ، وتحجرت القلوب ، وتعطلت العقول ، حتى بلغ الأمر بالنـــاس ، أن كانوا يئدون بناتهم ، تارة للتخلص من أعبائهن ، وأخرى خوفا من عارهن وحتى بلغت الجهالة بهم ، فى بحثهم عن بارئهم ، أن اتخذوا من الأوثان آلهة يصنعونها بأيديهم ، ومن العجوة أربابا ، يعبدونهـــا اذا ما أيسروا ، ويأكلونها اذا ما افتقروا .. وحتى انحصرت حياتهم فى خمور يحتسونها ، وحروب يشعلونها ، وغارات ينهبون فيها ما تصل اليه أيديهم من مال ومتاع ، ونســـاء وولدان !!.

كانت البشرية تعيش أسوأ أيامها ، وتمر بأحلك أعوامها يحيط بها الشقاء من كل جانب ، وتزهق فيها الارواح لادنى سبب ، لا يعيش فيها أغلب الناس الا لسنواتهم ، ولا يفكرون الا فى يومهم ، ولا يعملون الا بوحى من أهوائهم ، قد اندثرت فيهم القيم العالية ، وافتقدت بينهم المثل الكريمة ، ووصلوا الى الدرك الأسفل من الانحلال والبهيمية ..

الرحمة المهداه :

في تلكم الاجواء الخانقة ، ووسط تلكم الظلمات الكثيفة بعث الله سيد المرسلين بالهدى ودين الحق ، ورسم له طريق الدعوة الكبرى الى الانقاذ ، فقال تعالى :

(يأيها المدثر * قم فانذر * وربك فكبر * وثيابك فطهر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر) (١) .

بعث الله المصطفى بهذه الدعوة الى انذار الضالين ، وتعظيم رب العالمين .. بعثه بهذه الدعوة الى الطهر

---

(١) سورة المدثر : ١ — ٧ ، وهى أول ما نزل من القرآن فى رواية مسلم من حديث جابر رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « جاورت بحراء شهرا ، فلما قضيت جوارى ، نزلت فاستبطنت بطن الوادى فنوديت فنظرت أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فلم أر أحدا ، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا ، ثم نوديت فرفعت رأسى ، فاذا هو على العرش فى الهواء — يعنى جبريل عليه السلام — فأخذتنى رجفة شديدة ، فأتيت خديجة فقلت: دثرونى . فدثرونى فصبوا على الماء ، فأنزل الله عز وجل : **(يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر)** واخرجه البخارى باختلاف فى اللفظ .

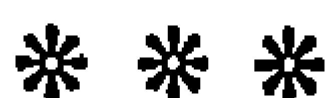
والفضيلة .. الى المثل العليا التى اندثرت ، الى القيم الكريمة التى انهارت وفنيت ، بعثه ليعيد بنـــاء الانسانية على أكمل دستور ، وأدق نظام ، بعثه ليضع حدا للأهواء المتلاطمة ، والانواء المتصارعة ، بعثه ليحقن الدماء ، ويهدر الثارات ، ويطفىء الاحقاد .

بعثه لحماية الضعفاء ، وانصاف المظلومين من الرجال والنساء ، وكبح جماح الجبابرة الأقوياء .

بعثه ليحرم الخمر والميسر ، والأنصاب والأزلام ، والربا والغلول والفاحشة والفجور ، والاختلاط والسفور ..

بعثه لتحطيم الأصـــنام ، وتحرير العقول من الجهالة ، والنفوس من العبودية والذل ، الا لله الواحد القهار .

وبوجه عام : لقد كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، رحمة للنساء قبل الرجال ، وللصغار قبل الكبار ، وللحيوان قبل الانسان ، وللفقــراء قبل الاغنياء ، وللعامة قبل الحكام والامراء ..



دعوة الأخوة والتسامح والمساواة

دعوة الاخوة والتضامن :

كانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمة ممزقة الشمل ، مفككة العرى ، قد قطعتها الخلافات ، واستنزفت قواها الحروب والثارات ، فكان لابد من تأليف القلوب ، وتوحيد الصفوف ، بالدعوة الى المحبة والاخاء ، استجابة لقول الله تعالى فى وصف أتباع الدين الجديد : **(انما المؤمنون اخوة)** (١) وقوله فى موقف الاسلام من تفرق القبائل والاحزاب ، وتعدد الامم والشعوب : **(ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون)** (٢) .

ولقد عنى النبى بتأكيد هذه المعانى السامية فى توجيهاته الكريمة الى أصحابه ، مبينا لهم تارة أن « **مثل المؤمنين فى**

---

(١) سورة الحجرات : ١٠ .
(٢) سورة الأنبياء : ٩٢ .

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) ..
وموضحا لهم تارة أخرى أن « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » (٢) وإن « **المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره** » (٣) .. وان « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه** » (٤) .

بذلك اطمأنت النفوس ، وتآلفت القلوب ، وخفتت البغضاء واتجهت الجهود التى بددتها الأحقاد ، ومزقتها الحروب ، الى اشرف وجهة ، واقوم سبيل ، للعمل لما فيه عزة الاسلام ، وسعادة الانسانية .

ولقد كان سهر النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الإخوة ، ويقظته لما يدبره لها الاعداء ، من أقوى العوامل التى صانت هذه الوحدة من التفكك ، وحفظتها من الانحلال .

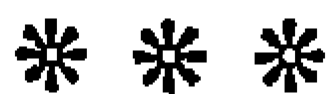
فلقد مر شاس بن قيس اليهودى على جماعة من الاوس والخزرج ، وقد ألف الاسلام بين قلوبهم ، فجلسوا

---

(١) أحمد فى مسنده ، ومسلم فى صحيحه ، عن النعمان ابن بشير باسناد صحيح . (٢) متفق عليه : عن ابى موسى باسناد صحيح . (٣ ، ٤) مسلم فى صحيحه ، عن ابى هريرة رضى الله عنه باسناد صحيح .

يتحادثون فى محبة وصفاء ، مما اوغر صدر الملعون ، وهيج حقده الدفين على المسلمين ، فأوعز الى شاب يهودى بالجلوس اليهم ، وتذكيرهم بيوم بعاث(١) ، وما وقع فيه من أحداث ، وقيل فيه من اشعار . فتنازع القوم فيما بينهم ، وتفاخر كل فريق على الآخر ، وسرت فيهم حمية الجاهلية ، فتنادوا الى السلاح ، واصطفوا للقتال ، واذا بالنبى صلى الله عليه وسلم يهرول اليهم فيمن معه من الانصار والمهاجرين ، ويهتف بهم جميعا : ((**الله .. الله .. أبدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم بعد ان أكرمكم الله بالاسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألف به بينكم ؟**))

نزلت هذه الكلمات على الجميع بردا وسلاما ، وعرفوا أنها نزغة من الشيطان ، ومكيدة من اليهود ، فألقوا اسلحتهم وفاضت بالدمع عيونهم ، وعانق بعضهم بعضا ، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين .



---

(١) بعاث موضع بالمدينة المنورة ، اقتتل فيه الأوس والخزرج — فى الجاهلية — قتالا شديدا ، كان الظفر فيه للأولين .

دعوة العفو والتسامح :

وكانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى وقت شبت فيه النفوس بالانانية والاثرة ، والغضب للنفس ان حقا أو باطلا ، فقضى النبى صلى الله عليه وسلم على هذه الجهالات وأقام العلاقات بين الناس على التسامح والعفو ، اتباعا لأمر الله تعالى : **(ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي احسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم) (١)**

ولقد زاد النبى صلى الله عليه وسلم هذه المعانى السامية وضوحا ، فى احاديثه الشريفة الى اصحابه ، فى مثل قوله :

((من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه ، دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق ، حتى يخيره فى أى الحور شاء)) (٢) ..

وفى مثل قوله : **((اذا كان يوم القيامة نادى مناد : من كان أجره على الله فليدخل الجنة ! فيقال : من ذا الذى أجره على الله ؟؟ فيقوم العافون عن الناس ، فيدخلون الجنة بغير حساب))(٣) .**

---

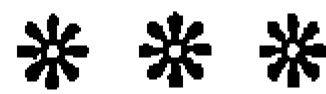
(١) سورة فصلت : ٣٤

(٢) أبو داود والترمذى : حديث حسن غريب .

(٣) من حديث أنس رضى الله عنه . اورده القرطبى فى الجامع لاحكام القرآن : جزء ٤ ــ ص ٢٠٨

وفى مثل قوله : ((**أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالاخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الغضب والرضا ، والقصد فى الفقر والغنى ، وان اعفو عمن ظلمنى وأصل من قطعنى ، وأعطى من حرمنى ، وأن يكون نطقى ذكرا وصمتى فكرا ، ونظرى عبرة)) .**

بذلك : طهرت النفوس من احقادها ، وعلم الناس أنّ الكرامة ليست فى التجبر والسيطرة ، والتشفى والانتقام ، وانما هى فى التسامح وخفض الجناح ، **وان المروءة ليست فى الانتصار للنفس والعشيرة ، وانما هى فى الانتصار للحق والفضيلة .**



دعوة المساواة :

وبعث النبى صلى الله عليه وسلم والناس يتفاخرون بأحسابهم ، ويتعالون بأنسابهم وألوانهم ، فقضى النبى صلى الله عليه وسلم على تلكم العنجهية ، مبينا لهم انهم سواسية كأسنان المشط ، وأنهم جميعا لآدم ، وآدم من تراب .

(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم

خبير) (١) . . **(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ، عسى أن يكونوا خيرا منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون)** (٢) .

ولقد تعهد سيد المرسلين هذه المعانى النبيلة بالغرس والرعاية بما كان يردده على اصحابه من الاحاديث المؤكدة لها فقال :

((ان الله لا ينظر الى صوركم وأموالكم ، ولكن انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)) (٣) .

وقال أيضا :

((يا أيها الناس : ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله)) (٤) .

---

(١) سورة الحجرات : ١٣

(٢) سورة الحجرات : ١١

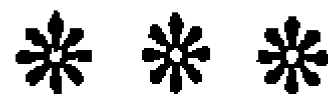
(٣) مسلم فى صحيحه ، وابن ماجة ، عن ابى هريرة باسناد صحيح .

(٤) الترمذى : عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وقد كان من آخر ما أوصى به النبى صلى الله عليه وسلم فى خطابه بمنى فى الحج الاكبر قوله :

« يا أيها الناس : الا ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاسود على أحمر ، ولا لاحمر على أسود الا بالتقوى » (١) .

وهكذا رأى العالم عبدا حبشيا يرفعه الاسلام الى اشرف مقام ، ويكرمه الرسول أعظم تكريم ، فيقول : « **بلال منا أهل البيت** » وانما استحق بلال هذه المكانة الكريمة بايمانه وعمله ، لا بحسبه ونسبه .



(١) الطبرى : باسناده عن ابى نضرة . فى كتاب آداب النفوس .

دعوة تكريم المرأة وإصلاح الأسرة

دعوة التكريم والانصاف للمرأة :

وكانت بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى وقت تسام فيه المرأة الخسف والهوان ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنقذها من الوأد ، وحررها من الرق ، وحدد العلاقة بينها وبين الرجل بما يحقق استقرار الأسرة ، وحماية المرأة ، طبقا لقول الله تعالى : **(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)** (١) .

وحدد النبى صلى الله عليه وسلم للمرأة نصيبها فى الميراث ، وقد كانت محرومة منه ، بل كانت تورث كما يورث المتاع ، ومنحها حرية التصرف فى مالها ، ووفر لها الرعاية اللازمة فى كل طور من أطوار حياتها ، بما يحفظ لها شرفها ويصون كرامتها .

---

(١) سورة النساء : ٣٤ .

ولم يكتف النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فى تكريمه للمرأة ، وانصافه لها ، بل اعتبر المقياس لكرم الرجل أو خسته ، هو حسن معاملته للمرأة ، أو امتهانه لها ، فقال :
((ما اكرم النساء الا كريم ، ولا أهانهن الا لئيم)) (١)

ثم بين صلى الله عليه وسلم حق الزوج فى الطاعة على زوجته فقال :

((لو كنت آمرا أحـدا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها))(٢) .

ثم فصل سيد المرسلين ما للمرأة على الرجل ، وما للرجل على المرأة ، مكررا التوصية بالنساء عامة ، فقال :

((أيها الناس : ان للنساء عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقا ، فعليهن ان لا يوطئن فرشكم احدا ، ولا يدخلن بيوتكم احدا تكرهونه الا بأذنكم ، فان فعلن فان الله قد اذن لكم ان تهجروهن فى المضاجع ، وأن تضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وانمـا

---

(١) ابن عساكر : عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه .
(٢) الترمذى : عن ابى هريرة ، واحمد عن معـاذ ، والحاكم عن بريدة باسناد صحيح .

النساء عندكم عوان – اى كالاسرى – لا يملكن لانفسهن شيئا ، وانما اخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء ، واستوصوا بهن خيرا))(١) .

دعوة الاصلاح للاسرة :

ولقد كانت الاسرة – قبل بعثته صلى الله عليه وسلم تقوم على الفوضى ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الى بنائها على التقوى ، وتحرى الزوجة الصالحة ، التى تغرس فى أعماق ابنائها الخلال الكريمة ، وتحرى الزوج الصالح ، الذى له من ايمانه ، ما يحول بينه – فى معاملته لزوجته – وبين التفريط أو الافراط – ويقف به عند حدود الله ، فقال صلى الله عليه وسلم :

((اذا اتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض))(٢) .

وعنى صلى الله عليه وسلم بوضع حد لفوضى الطلاق والزواج فى الجاهلية ، فجعل الحد الاقصى للتعدد أربع

---

(١) أبو داود وأحمد فى سنده : من خطاب النبى صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق بمنى .

(٢) الترمذى وابن ماجه والحاكم : عن أبى هريرة رضى الله عنه باسناد صحيح .

زوجات ، واشترط فيهن تحقيق العدل فى المـأكل والملبس والمبيت ، والا فواحدة ، وجعل الطلاق مرتين ، فامسـاك بمعروف أو تسريح باحسان ، ونهى الناس عن الالتجاء اليه الا لضرورة قصوى ، باعتباره ((أبغض الحلال عند الله)) وأمر باتخاذ كل الوسائل الممكنة لعلاج ما قد يقع من شـقاق بين الزوجين طبقا لما أمر به الله تعالى فى قوله :

(واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ، فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا . وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) (١) .

وحدد النبى صلى الله عليه وسلم العلاقة بين جميع أفراد الاسرة ، وما لكل منهم من حقوق ، وعليه من واجبات .

دعا النبى صلى الله عليه وسلم الآباء الى القيام بحق الابناء والبنات فقال : ((حق الولد على والده ان يحسن اسمه

---

(١) سورة النساء : ٣٤ ، ٣٥ [illegible]

ويزوجه ان أدرك ، ويعلمه الكتاب))(١) .

وقال :

((من كانت له ابنة فأدبهـا فأحسن تأديبها ، وغذاها فأحسن تغذيتها ، واسبغ عليها من النعم التى اسبغ الله عليه الا كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة))(٢) .

ودعا النبى صلى الله عليه وسلم الى بر الوالدين ، والرحمة بهما ، اتباعا لقول الله تعالى : **(وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا)** (٣) .

وأكد النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآداب العالية فى اجابته على سؤال أحد الصحابة ، عن حق الوالد على ولده حيث قال :

((لا يجزى ولد والده ، الا ان يجده مملوكا فيشتريه

---

(١) الديلمى فى مسند الفردوس عن أبى هريرة باسناد ضعيف .

(٢) الطبرانى : من حديث ابن مسعود بسند ضعيف .

(٣) سورة الاسراء : ٢٣ ، ٢٤ .

فيعتقه))(١) .

كما عظم حق الأم الصالحة على أولادها بصورة تأخذ بالالباب ، وماذا بعد قوله صلى الله عليه وسلم : **((الجنة تحت أقدام الأمهات))**(٢) .

ولقد حول النبى صلى الله عليه وسلم هذا المعنى الكريم الى حقيقة واقعة ، عرف المسلمون منها معرفة اليقين ، عظم قدر الأم المؤمنة عند الله تعالى ، وان رضاها من رضاه وغضبها من غضبه ..

فلقد روى ان (علقمة) رضى الله عنه حضرته الوفاة ، وكان كثير الاجتهاد فى الطاعات ، من صلاة وصيام وصدقة ، فأرسل اليه الرسول صلى الله عليه وسلم عمارا وبـــلالا وصهيبا ، وقال: امضوا اليه ولقنوه الشهادة ، فجعلوا يلقنونه لا اله الا الله ، ولسانه لا ينطق بها ، فلما علم الرسول صلى

---

(١) صحيح مسلم : عن أبى هريرة رضى الله عنه ، باسناد صحيح .

(٢) الخطيب فى الجامع : عن انس رضى الله عنه ، باسناد حسن .

الله عليه وسلم بأمره ، قال : هل من أبويه احد حى ؟ قيل يا رسول الله له أم كبيرة السن ، فأرسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخيرها بين مسيرها اليه ، أو حضوره اليها ، فقالت : نفسى لنفسه الفداء ، انا احق باتيانه ، فلما حضرت قال لها الرسول صلى الله عليه وسلم : يا أم علقمة : كيف كان حال ولدك ؟ قالت : يا رسول الله كان كثير الصلاة كثير الصيام كثير الصدقة ، قال صلى الله عليه وسلم : فما حالك ؟ قالت : يارسول الله : أنا عليه ساخطة !! قال ولم ؟ قالت : يارسول الله : كان يؤثر زوجته ويعصينى ! فقال صلى الله عليه وسلم : سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة ثم أمر صلى الله عليه وسلم بجمع حطب كثير ، فقـالت ام علقمة : وما تصنع به يا رسول الله ، قال : احرقه بالنار ، لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة ، فقالت : يا رسول الله : فانى اشهد الله تعالى وملائكته ، ومن حضرنى من المسلمين ، أنى قد رضيت عن ولدى علقمة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق اليه يا بلال فانظر هل يستطيع ان يقول لا اله الا الله أم لا ، قالت : يا رسول الله : ولدى لا يحتمل قلبى ان تحرقه بالنار بين يدى ! قال : يا أم علقمة : فعذاب الله اشد وابقى ، فان سرك ان يغفر الله له فارضى عنه ، فوالذى نفسى بيده ، فلعل أم علقمة تكلمت بما ليس فى قلبها حياء منى ، فانطلق بلال ، فسمع علقمة يقول من داخل الدار لا اله الا الله ، فقال:

يا هؤلاء : ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وان رضاها أطلق لسانه » (١) .

ولما مات علقمة من يومه ، حضره النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر بغسله وتكفينه ثم صلى عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره وقال :

« يا معشر المهاجرين والانصار : من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ، الا أن يتوب الى الله عز وجل . ويحسن اليها ، ويطلب رضاها ، فرضا الله عز وجل فى رضاها ، وسخط الله جل جلاله فى سخطها »(١) .

فأى مقام أعلى من هذا المقام الذى ارتفعت اليه المرأة فى ظل الاسلام ؟ وأى مكانة اسمى من هذه المكانة ؟ وأى شريعة أخرى ــ شرقية كانت أم غربية ــ كرمت المرأة مثل هذا التكريم ؟ وأحاطتها بمثل هذا الاجلال والتعظيم ؟

كما بين النبى صلى الله عليه وسلم ، ان حق الوالدين لا ينتهى بانتهاء الحياة ، وانما يمتد الى ما بعد الموت ، فقد **جاء اعرابى فساله : يا رسول الله هل بقى على من بر ابوى**

---

(١) الزواجر لابن حجر : ج ٢ ــ ص ٥٨

شيء ابرهما به بعد وفاتهما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ((نعم . الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا توصل الا بهما))(١) .

ولقد بلغ من حرص النبى صلى الله عليه وسلم على تكريم الوالدين أن أوصى بالاحسان اليهما وان امعنا فى الشرك بالله ، والبغض لرسوله .

فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم تناول شربة ماء ، فقال له عبد الله بن عبد الله بن ابى : بالله يا رسول الله : الا ما أبقيت من شرابك فضلة أسقيها أبى لعل الله يطهر بها قلبه ؟ فأفضل له صلى الله عليه وسلم ، فأتاه بها ، فقال له ما هذا ؟ قال : هى فضلة من شراب النبى صلى الله عليه وسلم ، جئتك بها تشربها ، لعل الله يطهر بها قلبك ، فقال له أبوه : فهلا جئتنى ببول أمك فانه أطهر منها ! فغضب وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله : أما أذنت لى فى قتل أبى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : بل ترفق به وتحسن اليه !!))(٢) .

---

(١) أبو داود وابن ماجه : عن أبى سعيد البدرى باسناد صحيح .

(٢) الجامع لأحكام القرآن : ج ١٧ — ص ٣٠٧ عن السدى .

ولما كانت الاسرة هى الوحدة التى يتكون من مجموعها الامة ، ان سلمت هذه الوحدة سلمت الامة ، وإن فسدت فسدت الامة ، فقد عنى النبى صلى الله عليه وسلم ، بتوفير الحماية اللازمة للأسرة ، حتى لا تعصف بهـا النزوات . ولا تعبث باستقرارها الأهواء . **ففرض الحجاب على المرأة المسلمة** صيانة لشرفها ، وتكريما لقدرها ، وتمييزا لها من الاماء والبغايا ، وتطبيقا لأمر الله تعالى : **(يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين ، يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما) (١)** .

ثم فصل النبي صلى الله عليه وسلم ، امر هذا الحجاب فحدد للمرأة المسلمة نوع الرجال الذين يحل لهم الاختلاط بها **وقصر الاختلاط بذوى الارحام على المحارم المحرمين حـرمة أبدية ممن أوضحهم الله تعالى فى قوله :**

(ولا يبـدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو ابناء بعولتهن أو اخـوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسـائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غـير أولى الاربة من الرجال أو الطفـل الذين لم يظهروا على عورات النساء) (٢) .

---

(١) سورة الاحزاب : ٥٩

(٢) سورة النور : ٣١

أما ما عدا هؤلاء الذين ذكرتهم الآية ، فقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم على المرأة المسلمة أن تتكشف عليهم ، أو ان تختلط بهم ، ولو كانوا من أقرب الاقربين لها او لزوجها لما فى ذلك من خطر عظيم على كيان الأسرة . لذلك قال صلى الله عليه وسلم : **((اياكم والدخول على النساء ، فقال رجل من الانصار : يارسول الله : افرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت))**(١) .

وهكذا : فى ظل هذه الآداب العاليـــة ، والتوجيهات الساميـــة ، ارتفعت الأسرة المسلمة الى أعلى ذروة من الاستقرار والطهر ، وأدت رسالتها فى حياة المجتمع الاسلامى على أكمل وجـــه ، وأخرجت للعـــالمين جيـــلا من الرجال والنساء ، كانوا خـير سناد للدعوة وأقوى عماد للرسول صلى الله عليه وسلم .

ولقـــد بلغ من عناية الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) البخارى ومسلم والترمذى والنسائى : عن عقبة ابن عامر رضى الله عنه باسناد صحيح ، والحمو هو قريب الزوج ، كأخيه وابن عمه وغيرهما ممن يحل لهم الاقتران بها لو لم تكن فى عصمته ، فهم أولى بالمنع من الاجانب ، لان الفتنة بهم أمكن ، ووصولهم الى المرأة والخلوة بهـــا أيسر وأقرب دون شك أو ريبة .

بتأكيـد الحجاب ، وغرس قدسيته فى النفوس ، ما روته أم المؤمنين السـيدة أم سلمـة رضى الله عنهـا قالت : **((كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث اذ أقبل ابن أم مكتوم ، فدخل عليه ــ وذلك بعـد ما أمرنا بالحجاب ــ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((احتجبا منه)) فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى ؟ فقال صلى الله عليـه وسلم : أفعمياوان أنتما ؟؟ ألستما تبصرانه ؟؟** (١) .

وواضح ان سـيد المرسلين صلوات الله وسـلامه عليه ، ما قصـد بذلك الا التشريع للمسلمين ، لأن احتمال الفتنـة بالأعمى رضى الله عنه بعيـد الاحتمال ، وخاصة بالنسبة لأمهات المؤمنين ، اللاتى لا تخاف عليهن فتنة ، ولا تشوب عصمتهن ريبة ، وكأنه صلى الله عليـه وسلم يقول لنا : هذا هو موقفى بالنسبة لرجل أعمى من صحابتى الأبرار ، وبالنسبة لزوجاتى أمهات المؤمنين ــ ومع وجودى بشخصى !!.

ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السـمع وهو شهيد .

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

النظام السياسى للدولة

ولقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، والحكم بين الناس قائم على الفوضى ، فالحق للقوة وان قامت على الباطل ، فدعا النبى صلى الله عليه وسلم الى بناء الدولة على الحق والعدالة ، وأخضع الجميع لسلطان واحد ، هو سلطان الله ، وحدد الصلة بين الحاكم والمحكوم ، مبينا حق كل منهما على الآخر ، وواجبه نحوه ، بما يتفق مع صالح المجتمع ، ويحقق نهضة الانسانية .

أمر النبى صلى الله عليه وسلم بطاعة أولى الأمر ، وجعل هذه الطاعة جزءا لا يتجزأ من الطاعة لله ورسوله ، طبقا لقوله تعالى :

(يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم) (١) .

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

ثم أوضح ما يلزم اتباعه ، عند اختلاف الآراء فى بعض الأمور ، انصياعا الأمر الله تعالى : **(فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرســول ان كنتم تؤمنون بالله واليــوم الآخر ..)** (١) .

وزيادة فى تأكيد هذا المعنى الدقيق ، بين النبى صلى الله عليه وسلم حدود الطاعة المطلوبة من الأمة ، وأنها لا تجب الا فيما يتفق مع ما أمر به الله والرسول ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق »(٢) .

كما بين النبى صلى الله عليــه وسلم واجب الحاكم نحو أمتــه ، ومسئوليته عن توفير كل خير لهــا ، وحماية اموالها وأعراضها وأرواحها ، والدفاع عن ذمارها ، وصيانة مجتمعها من المفاسد ، فقال صلى الله عليه وسلم :

« الامام راع ، ومسئول عن رعيته »(٣) .

وقال أيضا : **« أيما وال ولى شــيئا من أمر أمتى ،**

---

(١) سورة النساء : ٥٩ .

(٢) أحمــد فى مسنده والحاكم عن عمران باســناد صحيح .

(٣) متفق عليه : من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

فلم ينصح لهم ويجتهد لهم نصيحته جهده لنفسه ، كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار »(١) .

ولم يترك النبى صلى الله عليه وسلم نوع الحكم الذى يجب التزامه فى بناء الدولة غامضـــا ، بل بين ذلك بصورة قاطعة ، لا تدع مجالا للعبث والتأويل ، ولا سبيلا الى التغيير والتبديل ، وذلك طبقا لأمر الله تعـــالى اليه : **(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وان كثيرا من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهليـــة يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (٢) .**

اصول الشورى فى الاسلام :

وكما بين النبي صلى الله عليـــه وسلم نوع الحكم ، فانه بين طريقة العمل به ، والتطبيق له ، طبقا لما أوحى به رب العالمين اليه فى قوله :

(وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله) (٣) .

---

(١) الطبراني : عن معقل بن يسار باسناد حسن .
(٢) سورة المائدة : ٤٩ ، ٥٠ .
(٣) سورة آل عمران : ١٥٩ .

وهكذا : حرص النبى صلى الله عليـه وسلم على مشاورة أصحابه ـ تعليما لهم وتأديبا ـ مع انه لم يكن فى حاجـة الى مشورة أحد ، وهو النبى المعصوم ، الذى لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، ولكن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلم المسلمين حدود الشورى التى أمر بها رب العالمين ، وأن يعرفهم أنها أولا : لا تكون أبدا فى أى أمر ظهر الحكم فيه بنص من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه اذا وجـد النص بطل الإجتهاد ، لأن حق التشريع خاص بالله تعـالى ، وخاص برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حدود ما أمره به الله تعالى ، لأنه سبحانه وتعالى هو المصدر الأعلى للسلطات ، واليه وحده يرجع الأمر كله ، فليس لكائن من كان ، أن يدخل أى تعديل أو تبديل على النظام الذى ارتضاه الله تعـالى لعبـاده ، ولا أن يستبدل به إى نظام آخر ، ولو ظاهره على ذلك أكثرية الأمة ، بل ولو كانت الأمة على بكرة أبيها مؤيدة له فيما يريده من تعـديل ، أو يرغبه من تبـديل ، لأن ذلك ليس من حـق الأمـة ، ولا من حق الحـاكم ، ولا من حق أحـد فى الوجود ، انما هو حق الله وحـده **(أن الحكم الا لله ، أمر الا تعبـدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون)** (١) .

كما أراد النبى صلى الله عليـه وسلم ـ بمشاورته

---

(١) سورة يوسف : ٤٠ .

لأصحابه — أن يوضح لهم أن الشورى ليس الهدف منها قلب الأوضاع ، بالزام الأمير أو الحاكم برأى ما ، وانما الهدف منها الاستنارة والاسترشاد ، وللأمير بعد ذلك أن يختار ما يراه فى تقديره محققا لمصلحة المسلمين — دون مبالاة بكثرة أو قلة — بعد استماعه للنصيحة التى أوجبها الله على المسلمين بعضهم لبعض ، بموجب قوله صلى الله عليه وسلم : **((الدين النصيحة ، قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))**(١) وعلى الأمة بعد ذلك — خاصتها وعامتها — أن تسمع وتطيع . قال صلى الله عليه وسلم :

((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية ، فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))(٢) .

* * *

ولقد كفل هذا النظام السماوى المحكم للأمة الاستقرار

---

(١) رواه مسلم فى صحيحه عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه .
(٢) متفق عليه من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

السياسى ، وحفظ لهـا وحدتها من التفكك والانحـلال ، فى الوقت الذى حقق فيـه الفـائدة المتوخاة من المجالس النيابية ، بجعله الشورى واجبـة على الأمير ، وتفـادى الأضرار المترتبة على اضـاعة الوقت فى المهاترات والمناورات التى اتسمت بها تلكم المجالس ، بما أعطاه للامام من حرية واسـعة فى توجيه الأمور .

كما وقف ذلكم النظام الربانى حجر عثرة فى سبيل تكوين الأحزاب السياسـية ، فليس لأحـد من أهل الشـورى أن يتحزب لغيره ، أو أن يعمل لتكوين حزب يناصر رأيه ، أو يظاهر دعوته ، انما عليه أن يناصر الحق حيثما اتفـق الداعى اليه ، وأن يقدم النصيحة ابتغاء وجه الله ، دون تبرم من رفضها أو العدول عنها الى رأى آخر .

الاسـلام والنظم الوضعية :

والنظام الاسلامى ـ بهذه الصورة التى أوضحها النبى صلى الله عليـه وسلم وتابعه عليهـا الخلفاء الراشدون من بعـده ـ يختلف كل الاختـلاف عن النظم السياسية الوضعية ، ولا مجال مطلقا لمقارنته بأى منها ، لأن الاسلام نظام سماوى من وضع أحكم الحاكمين ، والمذاهب السياسية المختلفة ، نظم أرضية من وضع البشر ، ولأن الاسلام منزه

عن كل نقص او ظلم اما هذه النظم فانها لا تخلو من الظلم والهوى ، والفساد والفوضى .

وهكذا فان القول بان الاسلام هو دين الديمقراطية ، او انه دين الاشتراكية أو غيرها من المذاهب الغربية او الشرقية ، هو قول بعيد عن الحقيقة بعد المشرقين ، لان الاسلام اعظم من كل ذلك واجل ، واطلاق هذه المسميات عليه ، انما هو انحدار بذلكم الدين القيم ، الى حضيض تلكم النظم الوضعية بما فيها من خير وشر ، ونفع وضر .

الاسلام هو الاسلام .. هو نظام قائم بذاته له فلسفته فى بناء المجتمع ، وله أحكامه فى تشييد صرح الدولة ، وله تقاليده فى تنظيم حياة الأفراد والجماعات ، هو نظام كامل شامل ، كلما أمعن الدارسون فى فهم أحكامه ، واستجلاء أسراره ، كلما ازدادوا دهشة واعجابا بسلامة أهدافه ، وإحكام أصوله ، فاذا كان بعض المذاهب الوضعية قد شابه الاسلام فى بعض فضائله ، فلا يجب أن يخدعنا ذلك عما فى هذه المذاهب من فساد واضطراب .

مميزات الحاكم المسلم :

فالحاكم فى الاسلام يعيش كأى فرد من الناس ،

لا يمتاز عنهم بشيء ، حتى أن الغريب كان اذا جاء مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يستطع أن يميزه من بين أصحابه ، فكان يتساءل : ايكم محمد ؟؟ وحتى أن رسول كسرى الى الفاروق لما وصل المدينة سال : أين قصر أميركم ؟ فقالوا ليس لأميرنا قصر ، فقــال : فأين يكون ؟ فدله البعض على دوحة بعيــدة ، حيث كان الفاروق يرقد تحتها فى مرقعته وقد توسد حجرا ، ونام ملء جفنيه ، لا يحيط به حرس ، ولا تقام له حماية !!.

هــذا هو وضع الحاكم فى الاســلام ، فأين وضعه فى النظم الأخرى ؟.

ان انجلترا وهى المثل الأعلى للديمقراطية ، يعيش فيها الملك عيشة الأباطرة ، فى نعيم مقيم ، وقصور شامخة ، واسوار عالية ، تحيط به الحراب من كل جانب !!.

والحاكم فى الاسلام عرضة للنقد اذا أخطأ ، وهــذا هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فور بيعتــه فيقول : ان احسنت فاعينــونى وان اســات فقومونى .. ويأتى الفاروق بعده ، فيحذو حذوه ويقول : من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه ، فيجيبه احد الناس : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بحد السيف !!.

وبعكس ذلك : فان الحاكم فى الدول الديمقراطية ، فوق كل نقد ، ذاته مصونة ، لا يصح التعرض لها بأى صورة ، وكذلك الشأن فى الدول الاشتراكية او الشيوعية ، فان شخصية رئيس الدولة مقدسة ، والويل كل الويل لمن يتجارا عليها !!.

والحاكم فى الاسلام يبقى فى الحكم ما أطاع الله ورسوله ، فاذا حاد عن هذه الطاعة كانت الأمة فى حل من نقض بيعته ، واستبداله بغيره فى حين أن النظم الديمقراطية والاشتراكية ، تبقى الحاكم حتى الموت او حتى تنتهى المدة المقررة لحكمه ، بصرف النظر عن صلاحه او فساده !!.

والحاكم فى الاسلام هو المسئول المباشر عن كل شىء ، فهو مسئول عن سعادة الأفراد والجماعات ، ومسئول عن توفير الأمن والعدل ، ومسئول عن حماية الذمار ، ووقاية الثغور .. بل هو مسئول عن البهائم والأنعام ، وهذا هو الفاروق رضى الله عنه يقول : لو عثرت شاة بأرض العراق لسئلت عنها يوم القيامة لم لم أسو لها الطريق ؟!.

أما فى ظل هذه النظم الوضعية فان رئيس الدولة غير مسئول عن شىء ، بل انه فى بعض البلاد الديمقراطية

غير مسئول حتى عن تصرفاته الخاصة ، وليس له اى راى فى توجيه سياسة الدولة او تصريف شئونها ، وانما هو مجرد اداة لا حول لها ولا قوة ، مهمتها توقيع المراسيم واستقبال السفراء والأمراء ..!!.

الاســـلام والملكية :

والنظام الاسلامى يعترف بالملكيات الخاصة ، ولا يقف عقبـــة فى سبيل العبقريات الفردية ، فهو يتيح لكل فرد ان يعمل وان ينتج باقصى طاقة ممكنة ، على ان يؤدى للدولة ما فى اموالة من حق معلوم أدناه ، ولا حـــد لأعلاه ، وبذلك كان الاســـلام وسطا بين النظم الوضعية ، التى تارة تحارب الملكيات ، وتقيد الجهود الفردية فى الانتاج ، وتارة اخرى تطلق هـــذه الملكيات اطلاقا تاما يؤدى الى قلب الأوضاع فى المجتمع ، واتساع الفوارق بين الطبقات وتغلغل المبادىء الهدامة .

الاســـلام والاستعمار :

والنظام الاسلامى يحارب الاستعمار ، ويقدس حرية الأفراد والجماعات ، فما فتح المسلمون قطرا من الأقطار ، الا وعاملوا أهله على قدم المساواة ، لهم ما لهم ، وعليهم ما عليهم ، فلم يستأثروا دونهم بالحـــكم ، ولم يغتصـــبوا

لهم مالا ، أو انتهكوا لهم حرمة أو حاربوا لهم عقيـدة ، حتى كان لذلك أثره فى اعتنـاقهم للاسـلام ، واندماجهم فى المسلمين .

أين ذلك من موقف الديمقراطيـة الأمريكية فى افنائها للهنود الحمر — وهم أصحاب البـلاد الأصليون — حتى اجازت صيدهم بالرصاص كما تصاد الوحوش والحيوانات ، وفى اذلالها للزنوج ، والتفرقة العنصرية الصارخة بينهم وبين البيض ، وفى ظل هذه الديمقراطية اقامت أمريكا أحياء للبيض وأخرى للسود ، ومقابر للبيض وأخرى للسود .. وسيارات للبيض وأخرى للسود ، ومطاعم للبيض واخرى للسود .. ومدارس للبيض واخرى للسود .. وهكذا حتى بلغ الحد بهم فى التعصب الأعمى انه لما مات أحد القـادة الزنوج الذين ابلوا فى الحرب الثانية بلاء حسنا ، وحصلوا على أكبر النياشين وأرفع الأوسمة ، أراد قومه أن يدفنوه فى مقبرة ضمن مقابر البيض فثار الديمقراطيون المتمدينون ، وظل القائد المسكين الذى أفنى حيـاته فى الدفاع عنهم ، والقتـال من اجلهم .. ظل اياما دون دفن ، حتى أوجد له قومه مقبرة بعيدة عن مقابر السادة البيض !!.

والويل كل الويل للزنجى الذى يجرؤ على الزواج بامرأة بيضاء ، فان جمعية « كوكلوكس كلان » الارهابية — التى تتغاضى الحكومة عنهـا وفيهـا الكثيرون من كبار الموظفين

الرسميين ـــ سوف تنتزعه من أحضـــان أهله ، وتوثقه الي شجرة ، وتنفذ فيه حكم الاعدام حرقا !!.

واين ذلك من موقف الديمقراطية الانجليزية فى افنائها للزنوج فى جنوب أفريقيا ، حتى كانت تكافىء جنودها بعدد الرؤوس التى يقدمونهـــا لضـــحاياهم ، وحتى خصصت ٧٠ مليونا من الجنيهات منذ بضـعة أعوام للقضاء عليهم ، وتشريدهم فى الغابات ، لكى لا يبقى منهم فى المدن الا الخدم والعبيد !!.

واين ذلك من موقف الديمقراطيـــة الفرنسـية ، فى تنصـــيرها لسبعة ملايين من البربر فى شـــمال افريقيـــا قوة واقتـــدارا ، وتقتيلهـــا للنســـاء والأطفـــال والشيوخ فى الجزائر ؟!.

واين ذلك من موقف الشيوعية فى اغلاقهـــا للمساجد فى الأقطار الاسلامية المنكوبة بسيطرتها ومحاربتها لكل الأديان بصفة عامة ، وللاسلام على وجه الخصوص ؟.

هذا قليل من كثير ، مما سطره التاريخ من صفحات الخزى والعـــار والنار والدمار ، فى ظل هـــذه المذاهب الجاهلية ، التى لا تقيم وزنا لكرامة البشر ، ولا يرقبون فيهم الا ولا ذمة .

فهل بعد ذلك يوصف الاسلام بهذه المسميات المخضبة بالدماء والأمراض ، والتى تحيط بها ظلمات الاجرام من كل جانب ؟.

(كبرت كلمة تخرج من أفواههم ، ان يقولون الا كذبا) .

* * *

تنظيم العلاقات الدولية

ولم يترك النبى صلى الله عليه وسلم — فى تنظيمه السياسى للدولة — العلاقات الدولية — بين المسلمين وغيرهم ، دون أن يبين — بوحى من ربه عز وجل — الأسس التى تقوم عليها ، بما يتفق مع صالح البشرية بوجه عام ، ومع صالح الأمة المسلمة بوجه خاص .

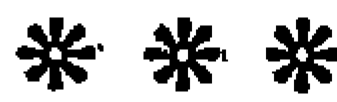
وهكذا .. بين النبى صلى الله عليه وسلم أن الاسلام يعتبر المسلمين امة واحدة ، باختلاف أجناسهم ، وشعوبهم وألوانهم ، طبقا لقول الله تعالى : **(المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض)** (١) كما أنه يعتبر الأمم الأخرى التى لا تدين بالاسلام أمة واحدة بموجب قوله تعالى : **(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير)** (٢) .

---

(١) سورة التوبة : ٧١ .

(٢) سورة الأنفال : ٧٣ .

وبذلك : حلت الوحدة الدينية محل الروابط القبلية والقومية ، فلم يعد هناك مجال لأى تعصب قبلى ، أو نعرة جنسية ، وبهذا سما الاسلام بالجنس البشرى سموا ليس بعده سمو ، ورسم السبيل واضحا نحو الوحدة الكبرى ، التى لا تفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ، بل تعتبر الجميع اخوة متضامنين فى الغايات ، متساوين فى الحقوق والواجبات ، وإن نأت بهم الأقطار ، أو اختلفت الأجناس والألوان .



النهى عن موالاة الكفار :

وقد عنى النبى صلى الله عليه وسلم بصيانة هذه الوحدة الدينية من التفكك والانحلال ، بالنهى عن موالاة الأمم الأخرى ، واتخاذهم حلفاء وأصدقاء ، لأنهم بطبيعة اختلافهم مع المسلمين فى العقيدة ، أكثر ولاء لأمثالهم من الكفار منهم للمسلمين ، لأن الرابطة الدينية أعمق أثرا من الروابط السياسية ، لصلتها بالعقيدة .

ولذلك : فان موالاة غير المسلمين لا تكون الا على حساب العقيدة الدينية ، والمصلحة العامة للدولة ، ولا تباح الا فى حالة العجز عن مقاومتهم ، والرغبة فى اتقاء عدوانهم . وفى ذلك يقول الله تعالى :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ، ويحذركم الله نفسه والى الله المصير) (١) .

وقد زاد رب العالمين الحكمة من هذا النهى ، وضوحا وتفصيلا فى قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) (٢) .

ولأهمية هذا الأمر بالنسبة لكيان الدولة ، فقد كرر المولى عز وجل الدعوة اليه بعد ذلك ، متضمنا أشد الوعيد للمخالفين ، قال تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) (٣) أى فى تعذيبه اياكم ، باقامته الحجة عليكم ، بعد أن نهاكم عن ذلك !؟.

---

(١) سورة آل عمران : ٢٨ .
(٢) سورة الممتحنة : ١ .
(٣) سورة النساء : ١٤٤

ولم يكتف رب العالمين بذلك ، بل عاد فى موضع آخر من كتابه المبين ، فكرر التنبيه والتحذير ، مبينا أن موالاة الكفار ، توشك ان تسلك صاحبها فى عدادهم ، ونعتبره منهم ، قال تعالى :

(يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصـارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم ، فانه منهم ، ان الله لا يهدى القوم الظالمين) (١) .

ولم يفرق الاسلام فى تقريره لهذا المبدأ الحيوى لحماية الدولة ، بين قريب أو بعيد لأن خطر ذوى القربى من غير المسلمين ، قد يكون أشـد وطأة على الدولة من الأجانب ، ولذلك شدد المولى عز وجل النكير والوعيد فى هذا الصدد فقال :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منـكم فأولئـك هم الظـالمون * قـل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخـوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهـا أحب اليكم من الله ورسـوله

(١) سورة المائدة : ٥١ .

وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين *) (١) .

الدعوة الى السلام والاحسان :

كما أوضح النبى صلى الله عليه وسلم أن عدم موالاة المسلمين لغيرهم ، لا يتعارض مع مسالمتهم والاحسان اليهم ، والتعامل معهم ، لأن الاسلام هو دين السلام والتسامح ، لا دين العدوان والتعصب ، فلا اكراه فى الدين ، لأن العقيدة الدينية لا يحمل الناس عليها حملا ، وانما هى نتيجة طبيعية لما وقر فى القلب من تسليم بالحق ، واقتناع بالفكرة ، قال تعالى :

(ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا ، أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟) (٢) .

ومن ناحية أخرى ، فان المسلمين فى ظل السلام ، وفى ظل العلاقات الانسانية بينهم وبين غيرهم ، يستطيعون نشر الدعوة لدينهم ، واظهار محاسنه ، منهم فى ظل العداء والمقاطعة . ولذلك قال الله تعالى :

---

(١) سورة التوبة : ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة يونس : ٩٩ .

(وان جنحوا للسلم فاجنح لهـا وتوكل على الله ، انه هو السميع العليم) (١) ، وقال : **(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقـاتلوكم فى الدين ولم يخرجـوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين)** (٢) .

وهكذا : فان الاسـلام فى حرصه على سلامة الدولة المسلمة ، وصيانته لوحدتهـا السياسية والدينيـة ، يقيم علاقاته بغير المسلمين على أسمى المبادىء ، وأكرم المثل العليـا ـــ فما داموا يقفون من المسلمين موقف المسالمة ، ولا يبيتون الغـدر بهم ، أو العـدوان عليهم ، فـلا مانع من مسالمتهم ، والوفاء بعهدهم . قال تعـالى : **(الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شـيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحـدا ، فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ، ان الله يحب المتقين)** (٣) .

التزام العدل فى معاملة غير المسلمين :

وتأكيدا لهذه المعانى الكريمة ، دعا النبى صلى الله عليـه وسـلم الى التزام العـدل فى معاملة أهـل الذمة ـــ وهم اليهود والنصارى الذين يعيشون فى كنف المسلمين ـــ

(١) سورة الأنفال : ٦١ .
(٢) سورة الممتحنة : ٨ .
(٣) سورة التوبة : ٤ .

وحذر من ظلمهم ، لأن وقوع الظلم بهم ؛ فضلا عن منافاته للمروءة التى يجب على المسلمين التخلق بها ، يدفعهم الى الحقد على الدولة ، والكيد لها ، والتآمر عليها مع أعدائها ، وفى ذلك من الخطر ما أوضحه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فى قوله : ((**اذا ظلم أهل الذمة ، كانت الدولة دولة العدو**))(١) أى كان النصر للأعداء ، لأن الظلم لا يقوم معه ملك ، ولا تبقى معه سيادة أو سلطان .

وفى ظل هذه المبادىء الصريحة العادلة تمتع أهل الذمة بأوفر قسط من الحرية والعدالة ، استطاعوا فى ظلها أن يعيشوا فى أمن واستقرار ، موفورى الكرامة ، لا يعترضهم أحد فى عقائدهم ، ولا ينتقصهم شيئا من حقوقهم .

* * *

موقف الاسلام من المحاربين :

أما هؤلاء الذين يقفون من المسلمين موقف العداء والتربص ، ويبيتون الغدر بهم ، والقضاء على دولتهم ، فمن الطبيعى أن ينهى الاسلام عن موالاتهم أو الاحسان

(١) الطبرانى : عن جابر رضى الله عنه ، باسناد ضعيف .

اليهم ، لما فى ذلك من استخفاف بحق الأخوة الاسلامية ، وتعريض للدولة لأشد الأخطار ، قال تعالى :

(انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم ، أن تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون) (١) .

كما حدد الاسلام ما يجب على المسلمين ، فى موقفهم من أعدائهم الذين يبيتون الغدر بهم ، والخيانة لعهدهم ، فلا جناح عليهم أن يأخذوا عدتهم للدفاع عن انفسهم ، ومباغتة عدوهم ، افسادا لخطته ، وتحطيما لقوته ، قال تعالى :

(واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين) (٢) .

ومع ذلك ، فان الاسلام — حتى فى حالة الحرب — يحرص على دعوة أتباعه الى التزام العدل والنبل ، فى معاملتهم لأعدائهم ، دون عدوان أو انتقام . قال تعالى :

(وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ،

---

(١) سورة الممتحنة : ٩ .

(٢) سورة الأنفال : ٥٨ .

ان الله لا يحب المعتدين) (١) . وقال عز وجل :

(فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) (٢) .

** * **

العلاقات الدولية وحرية الدعوة :

واذا كان الاسلام قد دعا الى السلام ، وحث على مهادنة الدول الأخرى ، والوفاء بعهودها ، ونهى عن العدوان عليهـــا ، فان ذلك مشروط بكفالة الحرية اللازمة لتبليغ الدعوة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، دون اكراه أو اغراء ، فاذا حيل بين المسلمين وبين هذه الحرية ، أو اعتدى على دعاتهم الى الاسلام بالتهديد أو القتل ، أو عمدت الدولة الى اضطهاد من اعتنق الاسلام من أبنائها ، فعندئذ يصبح المسلمون فى حل من عهودهم ، لأن الوقوف فى وجه الدعوة واضطهاد دعاتها أو معتنقيها ، هو فى حقيقته اعتداء على دولة المسلمين ، يوجب عليهم مقابلة العدوان بالعدوان ، حماية للدعوة ، وتأمينا لحريتها ، ودفاعا عن المستضعفين من أهلها .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٠ .
(٢) سورة البقرة : ١٩٤ .

قال تعالى : (**أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير**) (١) .

وقال جل وعلا : (**ومالكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا**) (٢) .

وهكذا رسم النبى صلى الله عليه وسلم — بوحى من ربه — الخطوط العريضة للعلاقات الدولية ، لخير أمة أخرجت للناس ، وأقام هذه العلاقات على أقوى دعامات من العدل والتسامح ، بما يتفق مع صالح البشرية ، ويحقق أوفر قسط من السلام والرفاهية ، ويحفظ للدولة الجديدة كيانها ، بما يمكنها من تأدية رسالتها ، فى هداية البشر ، ومقاومة عوامل الفساد والشر .

وبهذه الخطوط العريضة ، استبدل العرب من ضعفهم قوة ، ومن فرقتهم وحدة متراصة ، وبعد أن كانوا ذيولا للأمم

---

(١) سورة الحج : ٣٩ .
(٢) سورة النساء : ٧٥ .

القوية ، يوالون الفرس والروم مرغمين ؛ ويسخرهم اليهود صاغرين ، غـدا بعضهم أوليـاء بعض فتحرروا من نير العبودية ، وتطهروا من رجس اليهود ، فعادت لهم العزة المفقودة ، وغدت لهم الكلمة النافذة .

* * *

التنظيم العسكري للدولة

ولقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، والعرب يستنفدون طاقتهم الحربيـــة فى السلب والنهب ، والبغى والعدوان ، فوجه النبى صلى الله عليه وسلم هذه الطاقة الى أشرف الغـايات ، وأكرم الأهـداف ، وسما بالروح العســكرية عن مستوى الأغراض الرخيصة ، والأحقـاد الدنيئة ، وارتفع بها الى أعلى قمة من المروءة والفدائية ، وقصرها على الجهـاد فى سبيل اعــلاء كلمة الله ، وتحرير المستضعفين ، والدفاع عن الوطن والعقيدة .. ففى هذا السبيل وحده يجب التضحية بكل مرتخص وغال ، من أرواح وأموال ، ومن أجل هذه الغايات وحدها يثاب المؤمنون على أى حال ، سواء حققوا الأهداف ، أو استشهدوا دونها ، قال تعالى :

(فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيـاة الدنيا بالآخرة ومن يقـاتل فى سبيل الله فيقتـل أو يغلب فسوف

نؤتيه أجرا عظيما) (١) .

ولقد عنى النبى بايضاح هذه المعانى النبيلة لأصحابه الكرام فى كل مناسبة حتى استقرت فى أعماقهم قوية الجذور وظهرت فى تصرفاتهم واضحة المعالم ، فكان تاريخ الاســلام الحربى ، صفحة ناصعة من الفروسية المثالية ، التى لم يشهد العالم مثلها قط ، لا قبل ولا بعد ..

سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقــاتل شجاعة ، ويقاتل حمية ، ويقاتل رياء ، اى ذلك فى سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : ((**من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو سبيل الله)) (٢)** .

وزاد النبى صلى الله عليه وسلم هــذا المعنى الدقيق ايضاحا وتأكيدا فى اجابته لرجل آخر سأله : **ارأيت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ، ماله ؟ فقال ((لا شىء له !)) فاعادها ثلاث مرات فقال : ((لا شىء له ، ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا ، وابتغى به وجهه))**(٣) .

---

(١) سورة النساء ٧٤

(٢) متفق عليه : من حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه .

(٣) النسائى وابو داود

وبذلك : لم يعد هناك شك فى ان كل جهاد لا يقصد به وجه الله تعالى ، فهو مردود على صاحبه ، مهما بذل فيه من جهد ، أو قدم من تضحية .

ولم يترك النبى صلى الله عليه وسلم امر الجهاد غامضا بل وضع له من الاحكام والآداب ، ما يتضاءل ازاءه كل ما وصل اليه العالم الغربى من قوانين دولية ، واتفاقات حربية !

أقسام الجهـــاد :

وينقسم الجهاد فى الاسلام من ناحية حكمه الشرعى الى نوعين :

الاول : فرض عين : —

وهو الجهاد الذى يجب على جميع المسلمين كافة أن يشتركوا فيه ، كل حسب طاقته ، رجالا ونساء ، شبانا وشيبا ، اذا ما وقع أى اعتداء على بلاد المسلمين ، فى أى قطر من الاقطار ، أو بقعة من البقاع ، او اذا ما أسر الاعداء احدا من المسلمين ، فعندئذ يجب على الامة ان تهب لدفع العدوان ، وتحرير الأسرى ، وبذل كل مرتخص وغال فى سبيل ذلك ، ولا تقف دونه ، حتى يتم النصر ، ويفك الاسر .

الثانى : فرض كفاية :

وهو الجهاد الذى يهدف لنشر الدعوة ، وحماية الداعين اليها ، فاذا قام به فريق من الامة ، سقط عن الباقين ، اما اذا ما اهملته الامة كلها ، فقد وقعت فى الاثم ، لتقصيرها فى واجب دينى اناطه الله بها ، وهو الدفاع عن حرية الدعوة وتأمين السبيل الى تبليغها لغير المسلمين ، قياما بحق الانسانية نحوهم ، وابطالا لحجتهم عند الله ، بعدم وصول الدعوة اليهم .

ذلك ان الاسلام يعتبر الجنس البشرى وحدة لا تتجزأ ويعتبر المسلم ، رسول عدل وهداية للعالمين ، لا يعيش لنفسه فحسب ولا يقنع بايمانه وحده ، بل عليه ان يعيش للناس جميعا ، وان يعمل لخير الناس جميعا ، وليس هناك خير اعظم من دعوتهم الى الايمان بالله ، ولا بر أكرم من انقاذهم من الظلمات الى النور . ومن الجحيم الى النعيم .

وبذلك فان الحرب فى الاسلام ، فى وضعها الاول ، تعتبر ضرورة لدفع العدوان ، وحماية الاوطان .. وفى وضعها الثانى تعتبر علاجا لمقاومة الداء ، وتحقيق الشفاء ، كالطبيب الذى يضطر الى بتر عضو فاسد ، انقاذا للجسم من الهلاك ، وكذلك الاسلام : تحتم الرحمة والانسانية على أتباعه ، أن يتحملوا أهوال الحروب ، ويشددوا النكير على

الطغاة ، لانقاذ البشرية من ادران الكفر ، وحملها على طريق الحق ، وذلك هو الفوز المبين .

دستور الحرب فى الاسلام :

من أجل ذلك : لم يكن عجبا ان نجد الاسـلام يلتزم اسمى المبادىء فى الحـروب ، حتى لا تتحول عن الغـاية المرسومة لها ، وتتجرد عن الرحمة المطلوبة منها ، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ما امر اميرا على جيش أو سرية ، لايدعه حتى يوصيه بتقوى الله عز وجل ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم يقول لهم :

« اغزوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا واذا لقيت عدوك من المشركين ، فادعهم الى ثلاث خصـال ، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ادعهم الى الاسلام فان اجابوك فاقبـل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الى دار المهاجرين ، وأخبرهم انهم ان فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا ، فاخبرهم انهم يكونون كأعراب المسلمين ، يجـرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى الغنيمة والفىء شىء الا ان يجاهدوا مع المسلمين ، فان أبوا فسلهم الجزية ، فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان

أبوا فاستعن بالله وقاتلهم واذا حاصرت اهل حصن فارادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، (١) فلا تجعل لهم ذلك ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا (٢) ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تقبل منهم ، ولكن انزلهم على حكمك ، فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟))(٣) .

وهذا الحديث الجامع يبين لنا طرفا من آداب الاسلام واحكامه فى الحروب ؛ فهو دين الرحمة الشاملة ، التى شملت أعداءه قبل أنصاره ، حتى أوجبت على المسلمين الا يحاربوهم الا بعد دعوتهم الى الاسلام وترغيبهم فيه ، وايضاح محاسنه لديهم ، فان استجابوا لنداء الحق ، كان لهم ما على المسلمين ، وعليهم ما على المسلمين !! وهو دين الاباء والشمم والمروءة ، ينهى عن الغلول ، ولا يرضى بنقض العهود والمواثيق ، ويحرم التمثيل بالقتلى ، وهو دين القوة والعزة والكرامة يحرم على اتباعه التلوث بدماء الضعفاء ، من شيوخ وولدان ونساء ، حتى لقد روى أنه صلى

---

(١) الذمة : العهد :

(٢) تخفروا : تنقضوا .

(٣) رواه الخمسة الا البخارى ، عن بريدة رضى الله عنه .

الله عليه وسلم قال : ((**انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة**))(1) .

ومر صلى الله عليه وسلم على امرأة مقتولة فى بعض مغازيه ، وقد وقف عليها الناس فقال : ((**ما كانت هذه لتقاتل**)) .

بل ان الاسلام ليصل فى سموه ونبله فى معاملته للأعداء الى تحريم قتل القسس فى كنائسهم ، والرهبان فى صوامعهم ، والمرضى والزمنى ، والعزل من السلاح ، بل انه ليحرم قطع الثمار وحرقها ، وافساد الزروع وقطعها ، وتدمير البيوت ونسفها ...

فهل بعد ذلك كله يقال ان الاسلام قام بالسيف ؟

انما قام الاسلام ، بحجته القاطعة ، وهدايته الساطعة وقامت الدعوة اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولم يلجأ الى السيف الا دفاعا عن نفسه ، وحماية لذماره ، وتأمينا لحريته ، قال تعالى : ((**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من**

---

(1) رواه أبو داود من حديث أنس رضى الله عنهما .

من دونهم لا تعلمونهم »(١) . وكفى بقول الله تعالى دليلا على ان الاستعدادات الحربية في الاسلام تهدف الى ارهاب الأعداء ، لا الى العدوان والطغيان .

اين هذه الرحمة الشاملة ، والاهداف الكريمة ، مما يشاهده العالم فى الحروب الحديثة ، من قسوة وهمجية ، ومن تدمير للمنشئات ، وحرق للمزارع ، ونسف للبيوت ، وغارات ذرية وهيدروجينية على المدنيين الآمنين ، وتقتيل للمستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، وهدم للكنائس والمساجد والمستشفيات ، كل ذلك وغيره من أنواع الغدر والبغى والعدوان ، لا فى سبيل مبدا سام ، او غاية نبيلة ، وانما رغبة فى التسلط على البلدان ، واستعباد الأمم والشعوب والاستئثار بالموارد والخيرات ، والاعتداء على الدماء والأعراض .

لقد قتلت المدنية الإمريكية فى بضع دقائق سبعين الفا من اهالى هيروشيما ، اغلبهم من الشيوخ والنساء والاطفال وتركت مئات الالوف من أهلها بين الموت والحياة ولقد أفنى الفرنسيون فى الجزائر مليونا من الاهالى الآمنين فى القرى والدساكر ، لا حول لهم ولا قوة .

ومازالت حروب الابادة قائمة فى كل مكان حل فيه

(١) الانفال : ٦٠

الغربيون ، ولقد سطرت دول الاستعمار الغربي من صفحات الهمجية والدناءة ، في ربوع آسيا وافريقيا ما سوف يسجله التاريخ بحروف من نار ، ويدمغ المدنيــة الغربية بالعــار والشنار ، في حين يرفع الاسلام راسه عاليا ، بمــا وضعه للحروب من آداب عالية ، وما اتصفت به الجندية الاسلامية من مروءة وفروسية .

ان الفــارق بين الجــندية الاســلامية ، والقرصنة الاستعمارية ، كالفارق بين السماء والارض !!

لقد كانت الاولى فتحا للقلوب ، وانقــاذا للارواح ، وحماية للاموال والاعراض . وكانت الثانية اغتصابا للارض وقتلا للأرواح ، ونهبا للأموال ، وهتكا للاعراض .

كانت الأولى جهادا في سبيل اعلاء كلمة الله .

وكانت الثانية اعتداء في ســبيل اشباع الشهوات ، وارضاء النزوات ، وتمكين الطغاة .

كانت الاولى ايثارا على النفس ، وفداء للبشرية ، في سبيل هدايتها الى الحق ، وتحريرها من العبودية والشرك ، واخراجها من الظلمات الى النور .

وكانت الثانيــة انانية واثرة ، وانتصــارا للبــاطل ، واستعبادا للبشرية ، واهدارا للحرية ، ودفعا الى الظلمات .

كانت الاولى دعوة الى الاخاء فى الله ، والمساواة فى الحقوق ، والاتحاد بين الامم والشعوب .

وكانت الثانية دعوة الى التفاخر والبغضاء ، ونهبا للحقوق ، وتفرقة بين الاجناس والالوان .

* * *

التنظيم الاقتصادى للدولة

وكما نظم النبى صلى الله عليه وسلم الكيان السياسى لدولة الاسلام ، فقد عنى كذلك بتنظيم الكيان الاقتصادى لها على اعدل الاسس واسلم المبادىء .

حـــدد النبى بوحى من ربه عز وجل الموارد الأســاسية للدولة ، بما يكفل لها المال اللازم لمختلف شئونها ، وبما يحقق العدالة الاجتماعية بين الطبقات ، فلا يستأثر غنى بماله ، ولا يحرم فقير من حاجته ، ولا تتعطل مصلحة من المصـــالح العامة .

وأهم هــذه الموارد هى :

١ ــ الزكاة :

وهى اعظم الموارد المالية فى الدولة ، لذلك عظم الاسلام امرها ، واعتبرها ركنا من اركانه ، يكفر من يجحد به ، ويأثم

من يقصر فى أدائه ، ويحق للدولة ارغامه عليه ، وقتاله وقتله فى سبيله .

وتشمل الزكاة كل ما يملكه المسلم من ماشية وانعام ، ومن زروع وثمار ، ومن ذهب وفضة ، ومن تجارة وحلى ، وكل نوع من هذه الأنواع وضع النبى صلى الله عليه وسلم له أحكاما مفصلة ، تقوم على الرحمة بالفقراء ومتوسطى الحال ، باعفاء من لم يملك النصاب المحدد لها من اخراجها . كما تقوم على العدالة بالنسبة للأغنياء ، فلا يفرض عليهم الا القدر الضرورى ، الذى يستنفد جزءا من ثمرة اموالهم ، دون أن ينقص من أصلها ، أو يحول دون نموها .

ولاهمية هذا المورد بالنسبة لكيان الدولة ، فقد عنى النبى صلى الله عليه وسلم ببيان فضل المسارعين الى ادائه ، وحثهم على اخراجه بنفس راضية ، وعلى ايثاره بالطيب الحلال ، فقال صلى الله عليه وسلم .

« ما تصدق احد بصدقة من طيب ـ ولا يقبل الله الا طيبا ـ الا اخذها الرحمن بيمينه ، وان كانت تمرة ، فتربو فى كف الرحمن ، حتى تكون اعظم من الجبل كما يربى احدكم فلوه أو فصيله » (١) .

---

(١) رواه الخمسة الا ابو داود ، عن ابن عباس رضى الله عنه ، والفلو ولد الفرس ، والفصيل ولد الناقة .

كما شدد النبى صلى الله عليه وسلم النكير على التاركين لها ، ليكونوا على بينة من مصيرهم عند الله تعالى ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((**ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها ، الا اذا كانت يوم القيامة ، صفحت له صفائح من نار ، فاحمى عليها فى نار جهنم ، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، حتى يقضى بين العباد ، فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار**))(١) .

٢ ـ الخراج :

وهو ما يؤخذ على الارض الزراعية التى يملكها غير المسلمين ، مقابل العشر او نصف العشر الذى يؤخذ من نتاج الارض الزراعية للمسلمين .

٣ ـ الجزية :

وهى الضريبة المفروضة على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين يعيشون فى ذمة المسلمين ، مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين ، لانه لا زكاة على اهل الكتاب ،

---

(١) رواه الخمسة الا الترمذى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه .

فهم غير ملزمين بأحكام الشريعة الاسلامية ، فكانت الجزية مقابل امنهم على اموالهم وانفسهم ، وتمتعهم بحقــوقهم ، وانتفاعهم بموارد الدولة ومرافقها العامة ، سواء بســواء كالمسلمين ، فاذا أسلموا ، سقطت عنهم الجزية ، ووجبت عليهم الزكاة ، ومن هنا تظهر عدالة الاسلام فى معاملته لغير المسلمين ، وفى مساواته بينهم فى المعاملة .

٤ ــ العشور :

وهى الرسوم التى تفرض على التجارة الواردة الى بلاد المسلمين أو الصادرة منها .

٥ ــ خمس الغنائم :

وهى ما يغنمه المسلمون من اعدائهم المحاربين لهم ، فقد فرض الاسلام فيها الخمس بموجب قوله تعالى : **(واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ..) (١)**

ويدخل ضمن الغنائم : المعادن والركاز ، وهو ما يعثر

(١) سورة الانفال : ٤١

عليه فى باطن الارض من مناجم أو معادن ، او كنوز مدفونة ، او ما شابه ذلك ، ففيه الخمس ، لانه بمثابة الغنيمة ، ولذلك كان حكمه حكمها .

وكما حدد النبى صلى الله عليه وسلم اهم موارد الدولة فقد عنى بتحديد اهم مصارفها ، فى بعض انواعها ، وترك البعض الآخر — دون تحديد — لاجتهاد الحكام ، يوجهونه لما يرون فيه الخير ، ويرجحون فيه المصلحة العامة .

وهكذا بين النبى صلى الله عليه وسلم مصارف الزكاة — وهى اهم الموارد — طبقا لقول الله تعالى :

(انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم) (١) .

وبذلك غطت هذه الآية الكريمة اهم المصالح العامة فى الدولة ، وهى :

١ — توفير المال اللازم لسد حاجة الفقراء والمساكين ودفع مهايا الموظفين العاملين فى جمع الزكاة وتحرير الأرقاء

---

(١) سورة التوبة : ٦٠ .

وسداد دين الغارمين العاجزين عن السداد ، ومعاونة من تقطعت بهم السبل على الوصول الى مواطنهم . حتى يستطيع هؤلاء جميعا — وقد كفتهم الدولة — ان يتفرغوا لاداء رسالتهم فى المجتمع وان ينضموا الى صفوف العاملين المنتجين ، بدلا من ان تخسر الدولة جهودهم ، ويشغلهم الفقر والتسول عن العمل او ترغمهم الفاقة على الاجرام والعدوان وهذا منتهى ما وصل اليه التكافل الاجتماعى ، الذى يتشدق به مقلدة المدنية الغربية ، ويزعمون انه ثمرة من ثمارها ، ومبدأ من مبادئها ، وقد فاتهم ان دينهم الاسلامى قد سبق الى ذلك منذ عشرات القرون !.

٢ — توفير المال اللازم للترغيب فى الاسلام ، وتاليف القلوب عليه حتى يطمئن الداخلون فيه الى أن الاسلام سيعوضهم ما قد يفقدونه بترك دينهم ، ويكفل لهم ما يصون وجوهم عن ذل السؤال . حتى يجعل الله لهم مخرجا .

٣ — توفير المال اللازم لنشر الدعوة الى الله تعالى ، وتغطية نفقات الجهاد بنوعيه ، ردا للعدوان ، او حماية للدعوة ويدخل ضمن ذلك كلما يعود بالعزة والقوة ، والرقى والتقدم على المسلمين ، كانشاء المدارس للتعليم ، وبناء المصانع للانتاج ، وفتح المستشفيات لعلاج المرضى والجرحى وغير ذلك من المصالح العامة .. فكل ذلك فى سبيل الله ..

وعلاوة على ما تقدم : فان النبى صلى الله عليه وسلم وضع الحل السليم لما قد يفاجيء الامة من احداث ، تقصر عن مجابهتها الموارد السابقة ، كحدوث مجاعة ، او وقوع وباء ، او هجوم عدو قوى ، فحث ابناء الاسلام على الانفـــاق فى سبيل الله ، استجابة لنداء الله تعالى :

(مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (١) .

ولقد سألت السيدة فاطمة بنت قيس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزكاة فقال : **((ان فى المال لحقا ســوى الزكاة** ، ثم تلا **(ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، والسائلين وفى الرقاب) .. الخ**

ومن ناحية اخرى فقد اعطى الاسلام للامير الحق فى أن يأخذ من اموال الاغنياء ــ عند الضرورة ــ ما يكفى لسد حاجة الدولة ، وصيانة مصالحها ، وحماية نفوذها ، قال تعالى :

---

(١) البقرة : ٢٦١

(خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) (١)

وقد اخذ النبى صلى الله عليه وسلم بموجب هذه الآية ثلث أموال بعض الصحابة ، الذين تخلفوا عن غزوة تبوك والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . فمهما احتاجت الدولة للمال لتحقيق مصالحها ، فلها أن تأخذ من القادرين ما تحتاج اليه ، طوعا او كرها .

وقد حرص النبى صلى الله عليه وسلم فى تكوينه لخير امة أخرجت للناس ، أن يسمو بمواردها ـ العامة والخاصة ـ عن الدنايا ، وان يطهرها من كل ريبة او رجس ، فأوجب على الجميع ـ دولة وافرادا ـ **ان يتوخوا المورد الحلال ، وأن يتعففوا عن الحرام والشبهات ، مبينا الحكمة فى ذلك ، حيث قال :**

(ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا) وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين ، فقال تعالى : (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه الى السماء : يا رب ، يا رب ،

---

(١) التوبة : ١٠٣ .

ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام فانى يستجاب له !! (١) .

وواضح انه اذا كان الحرام سببا فى احباط عبادات الافراد وجهودهم فلا يقبل لهم عمل ، ولا يستجاب لهم دعاء فكذلك الشأن فى الدولة اذا لوث الحرام مواردها ، فى اى صورة من الصور ، وبأى درجة من الدرجات ، فان الله تعالى لن يبارك لها سعيا ، ولن ينصر لها جيشا ، ولن يقيم لها وزنا حتى تعود الى حكم الله ، وتفىء الى امره ..

ولكن انى للحكومات الاسلامية ان تقتنع بذلك ، وقد اعماها الجشع ، فلم تعد تفرق بين حلال وحرام ، ولا بين طيب وخبيث ، فأقامت المصارف المالية وجمعت الضرائب من الخمور والمراقص ، واستحلت ما حرم الله من المعاملات والمضاربات .. وهيهات ان يقوم لكل ذلك قائمة ، وانما يتقبل الله من المتقين .

ولم يترك النبى صلى الله عليه وسلم ، المعاملات الخاصة بين الناس دون ان يشملها بعنايته وتوجيهه ، فسما بها فوق كل جشع واستغلال ، وكل غش او زور ، واعاد تشييدها على اسس من الصدق والصراحة ، والمروءة والايثار .

---

(١) صحيح مسلم : عن أبى هريرة رضى الله عنه . ويعتبر هذا الحديث من الاحاديث التى عليها قواعد الاسلام ومبانى الأحكام . ومعنى يطيل السفر : اى فى وجوه الطاعات من صلاة وصيام وحج وجهاد ..

حرم النبى صلى الله عليه وسلم المعاملات الربوية ، في كل صورة من صورها ، وبأى مقدار من مقاديرها ، لما فيها من دناءة وخسة ، لا يتفقان مع نبل الاسلام وسمو اهدافه ودعوته الى التبــاذل والاحسان ، وحثــه على تيسير أمر المعسرين ، لا ارهاقهم ، وتفريج كرب المكروبين ، لا امتصاص دمائهم .

وكفى بالربا خطرا واثما ، ان الله تعــالى لم يتوعد مقترفا لاى كبيرة من الكبائر ، بمثل ما توعد به آكل الربا في قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ..) (١).

وكفى بالربا حقارة وقبحا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يندد بذنب من الذنوب ، ولم يستقذر أحدا من المذنبين مثل تقبيحه واستقذاره لآكلى الربا ، حيث قال : **((درهم من الربا يأكله الرجل وهو يعــلم ، أشــد عند الله من ست وثلاثين زنيــة))(٢) .**

---

(١) البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٢) أحمد والطبرانى : عن عبد الله بن حنظلة باسناد صحيح .

وقال ايضا :

« الربا اثنان وسبعون بابا ، ادناها مثل اتيان الرجل أمـــه »(١) .

وكفى بالربا خسرانا بينا أن الله تعالى قد تعهد بمحقه فقال عز وجـل : (**يمحق الله الربا ويربي الصـــدقات**) (٢) وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استمطر اللعنة عليه ، وشمل بها كل من يتصل به من قريب أو بعد فقال :

« لعـــن الله الربا .. آكله ، وموكله ، وكاتبـــه ، وشاهديه »(٣) .

* * *

وكذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الغش ، مع مروءة الاســـلام واخلاق المســـلمين ، ولما يؤدى اليه من فقدان الثقة بين الناس ، وضـــياع الأمانة فى المجتمع ، فقال

---

(١) الطبرانى فى الأوسط من رواية عمرو بن راشد .
(٢) سورة البقرة : ٢٧٦ .
(٣) مسلم وابو داود والترمذى : عن جابر وابن مسعود رضى الله عنهما .

صلى الله عليه وسلم : ((**لا تحاسدوا ولا تناجشوا**))(١) .. الحديث ، والنجش هو الختل والخداع والغش .

وقال أيضا : ((**من غش فليس منا**))(٢) .

* * *

ولم يكتف النبى الأعظم صلى الله عليه وسلم بذلك بل عنى ببيان الطرق السليمة فى البيع والشراء ، والرهن والاجارة ، والدين والهبة ، وغير ذلك من أنواع المعاملات التى اقامها النبى صلى الله عليه وسلم ، على أسس مشروعة ، بريئة مما كان يشوبها فى الجاهلية من اسفاف ، بعيدة عما كانت تقوم عليه من ظلم وعدوان .

* * *

(١) مسلم : عن أبى هريرة رضى الله عنه باسناد صحيح .
(٢) الترمذى : من حديث أبى هريرة باسناد صحيح .

دعوة تنظيم المجتمع وحماية المقدسات

ولقد وضع النبى صلى الله عليه وسلم - فى بنائه للمجتمع الاسلامى بوجه عام - من الأحكام والآداب ، ما يكفل سلامة ذلكم المجتمع من عوامل التفكك والانحلال ، وقيام العلاقات بين افراده على أقوى روابط الأخوة والتضامن ، والمحبة والتعاون ، تحقيقا لأمر الله تعالى : (انما المؤمنون اخوة) (١) .

وقد فصل النبى صلى الله عليه وسلم حقوق هذه الأخوة بين ابناء المجتمع الجديد تفصيلا رائعا يأخذ بمجامع القلوب ، فى كثير من أحاديثه الشريفة ، موضحا للمسلمين ما يجب الأخذ به من الآداب التى تقوى الروابط ، وتؤكد المحبة ، وما يلزم الابتعاد عنه من الأمور التى تفكك العرى ، وتوغر الصدور ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« اياكم والظن ، فان الظن أكذب الحديث » .

---

(١) سورة الحجرات : ١٠ .

« ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا » .

« ولا تباغضوا ولا تدابروا ، ولا يبع بعضكم على بيع بعض » .

« وكونوا عباد الله اخوانا » .

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره » .

« التقوى هاهنا .. التقوى هاهنا » ويشير الى صدره .

« بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم » .

« كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه »(١) .

وهذا الحديث الجامع ، يمكن اعتباره دستورا شاملا ، للعلاقات الانسانية العامة فى المجتمع الاسلامى ، فقد تضمن رغم قصره ، جملة من الأوامر والنواهى والآداب ،

---

(١) متفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

شملت عشرين بابا من أبواب الحياة الاجتماعية ، تكفى لاستقرار المجتمع ، وسعادة أفراده .

* * *

واذا كان ما تقدم هو بعض حقوق المسلمين عامة بعضهم على بعض ، فان النبى صلى الله عليه وسلم — فى تدعيمه للمجتمع الجديد — خص الأقربين وذوى الأرحام بمزيد من الحقوق ، فهم أولى بالبر والاحسان ، والصلة والاكرام ، ومن أجل ذلك أوصى النبى صلى الله عليه وسلم بهم خيرا ، وبين ما فى صلتهم من أجر جزيل وثواب عظيم ، فقال :

« يا معشر المسلمين : اتقوا الله وصلوا أرحامكم ، فانه ليس من ثواب أسرع من صلة الرحم »(١) .

وقال أيضا :

« من أحب أن يبسط له فى رزقه ، وينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه »(٢) .

---

(١) الطبرانى فى الأوسط ، من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) متفق عليه من حديث أنس رضى الله عنه .

ولما كانت قطيعة الأرحام لا يقف خطرها عند حد الأسرة ، بل يتعداها الى تفكك المجتمع ، وتقويض عراه ، فقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ، موقف القاطعين لأرحامهم أمام الله تعالى ، فهم على شفا جرف هار ، وان قضوا الليل قائمين ، والنهار صائمين ، وان جاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فكل ذلك وغيره مردود عليهم ، لا يزيدهم عند الله الا بعدا ، ولا من الله الا غضبا وسخطا ، قال صلى الله عليه وسلم : ((**ان أعمال بنى آدم تعرض على الله تعالى ، عشية كل خميس ليلة الجمعة ، فلا يقبل عمل قاطع رحم**))(١) .

وحرصا من النبى صلى الله عليه وسلم على تأكيد هذه المعانى ، **نهى عن مجالسة قاطعى الأرحام ، لأن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم ، وكيف تنزل عليهم الرحمة ، وقد لعنهم الله لعنا كبيرا فى ثلاثة مواضع من كتابه الكريم ، فقال تعالى : (أولئك هم الخاسرون)** (٢) ، **وقال : (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار)** (٣) .. **وقال : (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم)** (٤) .

---

(١) أحمد فى مسنده بسند رواته ثقات .
(٢) سورة البقرة : ٢٧ .
(٣) سورة الرعد : ٢٥ .
(٤) سورة محمد : ٢٣ .

وقد كان من الطبيعي ـ وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم صلة الأرحام مزيدا من الأهمية ، تتعادل مع أثرها فى المجتمع ـ ان يولى صلى الله عليه وسلم أمر الجوار مزيدا من العناية لنفس السبب ، لأن قوة المجتمع لا تتحقق الا بقوة الصلات بين جميع وحداته ، وخاصة ما يتصل منها بالنسب ، أو ما يتصل منها بالجوار .

وهكذا : حدد النبى صلى الله عليه وسلم الصلة بين الجيران ، وأوضح ما يجب ان تقوم عليه من تراحم واكرام ، وتعاون فى السراء والضراء ، وتناصر فى الحق ، وتسابق الى الفضل ، وتغافل عن العيوب ، وتناصح فى الخير ، وصبر على الأذى ، وعرفان للجميل .. وغير ذلك من المكارم التى جاء النبى صلى الله عليه وسلم متمما لها ، تأليفا للقلوب ، وقضاء على الضغائن والأحقاد ، وتصديقا لقول الله تبارك وتعالى :

(ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) (١) .

ولقد بلغ من اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بحقوق الجوار ، انه اعتبر القيام بأمرها من علامات الايمان ،

(١) سورة فصلت : ٣٤ .

فقال صلى الله عليه وسلم : **« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره »**(١) ، وفى رواية أخرى : **« ... فلا يؤذ جاره »**(٢) .

وبعكس ذلك : نفى النبى صلى الله عليه وسلم ، نفيا قاطعا ، الايمان عن المستهترين بحقوق الجوار فقال : **« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن !! » قيل من يا رسول الله ؟ قال : « الذى لا يأمن جاره بوائقه »**(٣) .

كما أوضح النبى صلى الله عليه وسلم ، أن القيام بحق الجوار ، هو وصية السماء الى أهل الأرض ، فقال :

« ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »(٤) .

ولقد فصل النبى صلى الله عليه وسلم ما يجب

---

(١) صحيح مسلم : عن أبى شريح الخزاعى رضى الله عنه باسناد صحيح .
(٢) متفق عليه : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .
(٣) متفق عليه : من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . والبوائق الشرور .
(٤) متفق عليه : من حديث ابن عمر رضى الله عنهما .

على الجيران — بعضهم لبعض — تفصيلا بليغا يأخذ بمجامع القلوب ، ويؤكد أسمى معانى الأخوة والتعاون ، فقد سأله بعض الصحابة رضى الله عنهم : يا رسـول الله : **ما حق الجار ؟ فقـال : « أن استقرضك أقرضته ، وان استعانك أعنته ، وان احتـاج أعطيته ، وان مرض عدته ، وان مات تبعت جنازته ، وان أصابه خير سرك وهنيته ، وان أصابته مصيبة ساءك وعزيته ، ولا تؤذه بقتار قدرك الا أن تغرف له منها ، ولا تستطيل عليه بالبناء لتشرف عليه وتسد عليه الريح الا باذنه ، وان اشتريت فاكهة فاهد له منها ، والا فادخلها سرا ، ولا يخرج ولدك بشىء منها يغيظون بها ولده ، وهل تفقهون ما أقول لكم ؟ لن يؤدى حـق الجـار الا القليـل ممن رحم الله »**(١) .

حماية المقدسات :

ولقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم ، والنفوس مليئة بالشر ، والحرمات نهب للأقوياء ، فأقام الحدود بين الناس ، وفرض القصاص الذى أمر الله به ، ردعا للنفوس الأمارة بالسوء ، وحماية للمجتمع من الفوضى ، وصيانة للمقدسات الانسانية ، من أرواح وأعراض وأموال ، استجابة لأمر الله

---

(١) الجامع لأحكام القرآن : جزء ٥ ، ص ١٨٨ ، من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه باسناد حسن .

تعالى : (ولكم فى القصاص حيــاة يا أولى الألباب لعلكم تتقون) (١) .

وما أروع هذا القول البليغ من رب العالمين ، وما أحكم هذا التشريع من أحكم الحاكمين ، وحقا لقد كان فى القصاص حياة للانسانية بأسرها ، حمل الجماعات على وضع حد لحروب الثأر التى كانت تشجر بينهم ، للأخذ بدماء القتلى ، والتى كانت تأكل الأخضر واليابس ، وتهلك الحرث والنسل ، ولا تنتهى الا بعد قتل المئات والألوف ، وأرغم المسرفين على التردد فى سفك الدماء ، أو اغتصاب الأعراض والأموال ، خوفا من القصاص الذى لا مفر من وقوعه بهم ، مهما توفر لهم من قوة العصبية ، أو حماية السلطان .

وهكذا : كانت هذه الحدود كالسيوف المرهفة على اعناق الأشرار ، والحراب المشرعة فى صدور المستهترين ، لا فرق فى ذلك بين صغير وكبير ، ولا بين أمير وحقير ، فالتزم الجميع سواء السبيل ، طوعا أو كرها ، وخافوا الله فى السر والعلانية ، وراقبوا سلطانه فى القرب والبعد ، فلم يطمع كبير فى حماية نفوذه وسلطانه ، ولم ييأس ضعيف من الوصول الى حقه لضعفه أو استكانته .

ورضى الله عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة : ١٧٩ .

حين أعلن للنـــاس هذه الحقيقة واضحة لا غموض فيهـــا ولا ابهـــام فقال فى خطابه الأول : ((**الضعيف فيـــكم قوى عندى حتى أريح عليه حقــه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله**))(١) .

وزاد الفـــاروق عمر بن الخطاب الأمر وضوحا حين خطب الناس فقال : ((**ألا من ظلمه أميره فليرفع ذلك الى فقام عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين : لئن أدب رجل منا رجـــلا من أهل رعيته ، لتقصنه منه ؟ قال : كيف لا أقصنه منه وقد رأيت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟**))(٢) .

وما كان الصديق والفاروق الا متبعين لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فى اقامة القصاص بين الجميع على السواء ، فقد روى أنه ((**بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم شيئا ، اذ أكب عليه رجل ، فطعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه ، فصاح الرجل ، فقال له**

---

(١) البداية والنهـــاية : عن رواية محمد بن اسحاق من حديث أنس رضى الله عنه باسناد صحيح .

(٢) الجـــامع لأحكام القرآن : جزء ٢ : ص ٢٥٧ ، عن أبى داود الطيالسى عن أبى فراس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعال فاستقد » قال : بل عفوت يا رسول الله »(١) .

فماذا قال قائل بعد ذلك — أيا كان — ان فى القصاص والحدود قسوة لا تتفق مع روح العصر ، وتقدم الانسانية ، قلنا له : ان الله تعالى يقول : **(ولكم فى القصاص حياة)** .

وان قتل نفس شريرة ، فيـــه فداء للمجتمع بأسره من شرها واجرامها .

وان قطع يد سارق ، فيـــه حماية للأرواح والأموال فى كل مكان .

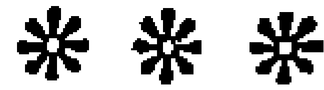
وان رجم زان فاجر فيه صيانة للأعراض والأنساب .

وعجبا لهؤلاء المعترضين على حكم الله ورســوله ، فهم لا يرون قسوة فى قطع الطبيب ليد المريض أو قدمه لانقاذ حياته .. وهى حياة فرد واحد ، ويرون قطع مثل هذه اليد أو القــدم لانقاذ المجتمع بأسره ، اثما كبيرا .. ساء ما يحكمون !!! .

---

(١) الجامع لأحكام القــرآن : جزء ٢ ، ص ٢٥٧ ، عن أبى داود الطيالسى عن أبى فراس .

لقد أحيا القصاص أمة الاســلام ، فاطمأنت فى ظله النفوس ، واستقرت الأوضاع ، واستتب الأمن فى كل مكان ، فى المدن والأمصار ، وفى الفيافى والقفار ، فى وقت انعدمت فيه وسائل الاتصالات الحديثة ، وضعفت فيه طرق الرقابة البوليسية ، فى حين نرى فى عواصم البلاد المتمدينة ، ترتكب جرائم السلب والنهب ، والخطف والقتل ، جهارا نهارا ، فى أمن من قوات الأمن المنبثــة فى كل مكان ، واستخفاف بسلطان الحكومة ، وما تملكه من سلاح وعتاد .



دعوة البعث الشامل :

وبعد : لقد كانت بعثة المصطفى صلى الله عليه وسلم رحمة للجميع ، ونهاية للفوضى ، ومصدرا للهداية والنور ، وقضاء على الجاهلية فى كل أوضاعها الفاسدة ، ومظاهرها البائدة ، فأحلت محلهــا أدق موازين العــدالة والمساواة ، واسمى تقاليد الانسانية ، وأوثق عرى المحبة والتعاون .

لقد حدد النبى صلى الله عليه وسلم صلة الصــغار بالكبار ، والكبار بالصــغار فقال : « **ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه** »(١) .

---

(١) احمد فى مسنده والحاكم : عن عبادة بن الصامت باسناد حسن .

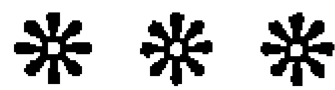
وحدد النبى صلى الله عليه وسلم الصلة بين الغنى والفقير ، فقال :

((ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع الى جنبه))(١) .

بل لقد شملت بعثته بالرحمة الحيوانات ، فأحاطها بقسط وافر من الشفقة والرعاية ، فقال صلى الله عليه وسلم :

((اذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته))(٢) .

وقال : **((دخلت امرأة النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت))**(٣) .



(١) البخارى فى الأدب : عن ابن عباس رضى الله عنه باسناد صحيح .

(٢) مسلم فى صحيحه : عن أبى يعلى شداد بن أوس باسناد صحيح .

(٣) متفق عليه : عن أبى هريرة وابن عمر رضى الله عنهم أجمعين .

واخيرا .. لقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم ، بمثابة الروح تدب فى الجسد الميت ، والماء يتفجر فى الأرض القـاحلة ، فبعث فى المجتمع الاسلامى الحيـاة متدفقة ، وأعاد الى النفوس البشرية انسانيتها المفقودة ، وكون من الحفاة العراة خير أمة اخرجت للناس ، وجعل من الغلاظ القساة رسل رحمة وهدى للعالمين .

* * *

محتويات الكتاب

دار العلوم للطباعة
القاهرة ، ٨١ شارع حسين حجازى (القصر العينى)
ت : ٣٠١٧٤٠٨

رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٠٤ / ١٩٩٠
الترقيم الدولى ٩٧٧ — ٧٣١٢ — ٥٣ — ٩

هذه الرسالة

الاسلام هو الدعوة الكبرى الشاملة .. نظم للناس أمور دينهم ودنياهم فى مختلف مجالات الحياة ..

انه دعوة الأخوة والتسامح والمساواة .. وتكريم المرأة ، واصلاح الأسرة ، وتنظيم المجتمع وحماية المقدسات ..

ورسم تنظيما كاملا للدولة الإسلامية .. سياسيا ، ودوليا وعسكريا واقتصاديا ..

وهذه الرسالة تلقى الضوء على الاسلام كدعوة ، وكنظام للدولة ..



قرش جنيه
٠٠ ، ٢